

أحسن مواربة:

أعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المؤلف قلوبهم بعد غزوة حنين كل واحد مائة بعير، وأعطى عباس بن مرداس أبا عر فسخطها، وقال يعاتب الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقصيدته المشهورة التي أولها:

أجعل نهبي ونهب العُديِّد * * * بين عَديِّ ذَنَّة والأقرع (1)

وما كان حِصن ولا حابس * * * يفوقان مرداس في مجمع

فقال - عليه الصلاة والسلام - لعلي (عليه السلام): يا علي، اقطع لسانه. فقبض علي يده وخرج به، فقال: أقطع أنت لساني يا أبا الحسن؟ فقال: إني لممض فيك ما أمرت! ثم مضى به إلى إبل الصدقة، فقال: خذ ما أحببت.

قال ابن أبي الإصبع: وقول علي (عليه السلام) أحسن مواربة سمعتها في كلام العرب، ولما وفدت ليلي الأخيلية على الحجاج وسمع شعرها وحديثها، قال لبعض غلمانه: اذهب إلى فلان، فقل له: اقطع لسانها، فذهب بها، فقال له: يقول لك الأمير: اقطع لسانها، فما كان منه إلا أن أمر بإحضار الحجام! فالتفتت ليلي إليه فقالت: ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال؟ إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة. فبعث الرجل إلى الحجة يستثبته، فاستشاط الحجاج غضبا وقال: ارددها، فلما دخلت عليه قالت: كاد وأمانة! يقطع مقولى.

يحب الصوفية:

كان نظام الملك كثير الإنعام على الصوفية، فسئل عن سبب ذلك، فقال: أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء، فوعظني وقال: اخدم من تنفعك خدمته، ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدا. قال نظام الملك: فلم أعلم معنى قوله! وحدّث أن شرب الأمير الذي كنت أخدمه من الغد إلى الليل، وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء بالليل، فغلبه السكر فخرج وحده، فلم تعرفه الكلاب فمزقته.

(1) العبيد بالتصغير: اسم فرسه.

فعلمت أن الرجل كوشف بذلك، فأنا الآن أخدم الصوفية لعلّي أظفر بمثل ذلك.